

هذا هي الأغلال

هل الأفعال في أصنافها؟

ثورة جامحة ، تلك التي عبست من حول كتاب « هدي هي الأغلال » الذي نشره الأستاذ القصبي ، ظاهر الرجل في دينه واتهام في نوليه واتهام في أخلاقه . جمادات وأفراد ، هبوا جميعاً يقاومون المذكرة التي يُفترض بها ذلك الكتاب لقيم ، فكراً أن المغلية الدينية العادمة هي المعنع الذي تُرمي به أصداء المقل ، وقتل فيه أغلال النفس : نزع الكتاب نزعه دينية رهيبة ، نزعه المسلمين الذين قال لهم نبيهم « وأعدوا لهم ما احظتهم من فرحة » ، لم يتخل الفرة المادية ولا الفرة المعنوية ، ولا عن نوعاً ينبع من أنواع القوى ، بل تركه مفعى الفرة يتغير في ذهنه كل جيل من أجيال المسلمين يقتضي الملابسات التي تقوم من حوله . مؤلف هذا الكتاب رجل حر الرأي واسع الفهم يفترس بصيرة ، إذ قضى بأن القوة التي يجب أن يعدها المسلمون في هذا الزمن هي « العلم » بالصورة التي فهمها الغرب ، صاحب المدينة السائدة في زماننا هذا . ولا أظن أن مبدأ من المسلمين يجادل في هذا مما قدّمت به الهمة عن تفهم روح الصر الذي يعيش فيه .

إلى جانب هؤلاء الذين أصابهم حرج المقلية الدينية ، رجال امتناعوا أن يتحرروا مما أبيب به غيرهم من مرض الرجس إلى أماكن الألوان ، ووزعة الخوف من كل ما أليس به الزمن ثواباً القدسية ، ولقد اطاعنا على كلة لفضيلة الامتداد الشيخ حسن التلاباني أبدى فيها رأيه في كتاب «هذا هي الأغلال» تندعى ببارات منها ، باطل أولئك الذين حلوا فتوس المقدم وراحوا يصررون بها الهراء ظافرين أسمى بضرورون بها في أصول الحق : قال فضيلته :

«معسكر الاصلاح في الشرق ، طالبته» ابن خلدون ، باكرة الاجتماعيين ، وجناح أحد «السد الأفغاني» ، وظبيلاً و«محمد عبده» و«السيد انـکوـاـکـي» ، أما قلبه فهو

«السيد القصبي» نزول القاهرة تبرير، ثم جدي في جيشه وقبائه، ومبادئه وعقائه، ذلك هو السيد التشيبي، إذا أكتحل به عيالك لأول الأحداث، ذات رزيم من زمام العنان الجديدة، تختلف عن غيرها، ليس طبعه، حتى إذا جئت إليه فأوصيت إلى حدينه الرايب أسفتي إلى قائم غير يتحقق علم ديني وأجتماعي.

«قدرت لـ «العلم النجدي القصبي»، بذلت إليه مرة ومرة، ثم شهدته كثرة، فناديك منه داعية إسلام، أكثر ما يليق بالشرق وأدواره، وجبله ودواوئه.

«لم أقض الدجى حين هردت السيد القصبي من عربى في ثباته، ملتف في شمله، يروعك مت علم في مدرسته، كذا يشيلني شرقاً بغيره الشرقية، وقد بُنيت مصر على أختهنى بهذا السيد نعمت بتناول كتابه، الذي هي الأدلال، وأنا ملول مكمال، فنلت على الاحاطة به، نقل المذهب على القلوب، والبعد على العرب، ثم عدت فأقيمت عليه نظرة جعلتني أستجه إنسنة أهل العمل، على الحبيب القبيل، فإذا الكتاب منهج اصلاح وخطه إصلاح».

«لقد احتوى كتاب السيد القصبي برنامجاً لاتخاذين القوى، فرأيه الانحصار على أكثر من هذا الذي أصفه، فأعده من عبوب شائنة للشرق، هي تلك الشاجبة الآية، فغترة الشرق عن العلم، تنبيء بالجهالة، الرهد المتشمع، تذكره لحياة النبوة، صور التوكيل المكتنوب، حواه التفهم لاصباب العمل، إلى مشابه لهذه التفاصيل الترفيات، بل المزريات، «جبا الله السيد القصبي»، ما أصدق نظره إلى الحياة، وأبعد عرماته في الهدایة، لقد ذكرني حديثه — وما أكثر ما ذكره — عن فترة الشرق، بل عن كيده نامل، أن إحدى دول الأندلس أو المغرب لعهد قصبي، حظرت تعليم الخامسة، وإن دولة أخرى هناك حرّقت كتاب مالك بن أنس، وجهه الله».

«أما بعداد حاضرة العلم الإسلامي والمدينة الإسلامية فقد صفت أرضها الري، من دم أهل الفقه يقتلون، عصبية على العلم، هذا من غيبة الذهب الفلاني، وهذا من عدوه ١١١، أتقبل: لقد ذكرني السيد القصبي أن مصلح مصر، محمد الأزهر، أستاذنا «محمد عبد» لم يملك إدخال التعليم الاجتماعية المحبوبة إلى الأزهر، إلاً عن رشوة ثانية من الجواوين

المالية ، دفعها إلى أهلها ، فإذا ثناك المعلوم تدرس ذها ، وإذا الأزهر يختار في الحياة العدبية
محظى ضيقه مرأة ، فسيحة كرّة ، إلى بصره ملؤه ذهنه يوماً ينتفع «وفقاً لـ حلبية بـ سـ»
«في الآن أن أصل القراء السكرماء بفقرة انتعلها بأمان آية تاحبة لهذا الكتاب لا أعتذرها
ولا أخغيرها بل أفتح الكتاب عنها ، كما يفتح الله حفـ لـ انتـ ، ليشهد القراء : أي لـانـ
سيـنـ ، وـ فـ كـ رـ يـ زـ يـنـ ؟؟؟ ، قالـ الأـسـتـاذـ التـصـيـحـيـ :

« شـمـيانـ هـبـطـاـ هـذـاـ الـكـوـكـ الـأـرـضـيـ اـلـوـاعـجـ الـأـرـجـاءـ ، فـسـارـ عـمـبـ تـحـتـ ضـيـاـنـ مـعـرـفـةـ
فـيـ قـوـةـ لـاـ نـكـبـوـ وـلـاـ نـفـلـ ، فـأـسـتـغـلـ وـأـسـتـقـلـ . . . ، وـشـعـبـ آخرـ هـبـطـ غـرـبـيـاـ فـيـ هـذـاـ
الـكـوـكـ ، جـاهـلاـ نـوـعـيـهـ وـقـرـائـيـهـ ، فـلـمـ يـدـعـ كـوشـ يـأـخـذـ وـلـاـ كـيفـ يـدـعـ . . . ، هـذـانـ
شـمـيانـ ، نـادـىـ عـىـ أـنـ تـكـوـنـ النـتـيـجـةـ لـاـحـقـافـهـ ، لـيـسـ هـنـاكـ أـدـنـىـ دـرـبـ فـيـ أـنـ الطـبـةـ
مـتـكـونـ الـعـلـمـ وـالـمـرـاقـ » .

هـذـاـ طـرـازـ مـوـجـزـ نـاـيـفـيـنـ بـهـ الـكـتـابـ ، وـثـناـكـ روـحـ مـلـاـنـكـةـ الـسـدـادـ وـالـتـهـديـ ، وـطـرـازـ
أـعـلـىـ مـذـاـهـبـ الـعـصـمـةـ الـشـمـيمـةـ وـالـحـالـالـ ، بـيـدـأـنـ لـيـ لـمـحـتـينـ وـفـيـقـتـينـ ، إـلـىـ بـعـضـ مـاـ اـحـتـواـهـ
الـكـتـابـ فـيـ دـوـرـهـ الـسـالـلـةـ وـدـهـاـوـهـ الـرـاجـعـةـ ، أـوـلـىـ الـدـجـتـينـ : أـنـ الـأـمـتـادـ الـقصـيـبيـ حـيـنـ
استـشـهـدـ عـلـىـ بـعـضـ قـصـاـيـدـ الـاجـتـمـاعـيـ ، ذـهـبـ بـنـشـدـ أـيـاتـاـنـ مـنـ الشـمـرـيـفـوـغـةـ ، لـفـرـاءـ الـعـلـاءـ ،
أـوـ الـعـلـاءـ الـشـعـرـاءـ ، فـيـقـيمـهـ بـيـسـانـتـرـهـ فـيـ قـصـاـيـدـ تـلـكـ ، وـإـيـامـ الـشـمـرـ قـنـاـيـاـ خـطـابـةـ هـرـةـ
لـقـائـلـ فـردـ ، لـاـ تـصـفـ هـاـنـاـ اـجـتـمـاعـيـاـ ، وـلـاـ خـلـقـيـاـ ، أـنـدـ الـكـتـابـ قـرـلـ الـخـشـريـ ، وـهـوـ
عـلـمـ فـيـ تـهـوـنـ الـعـلـمـ ، وـتـزـينـ الـجـهـاـةـ ، عـلـىـ مـذـهـبـ صـوـفـيـ .

الـلـمـ لـلـرـحـنـ جـلـ جـلـاـهـ وـصـوـاهـ فـيـ غـرـاهـ يـتـقـمـ
ماـ الـتـرـابـ وـالـطـلـومـ وـإـعـاـ يـسـعـ لـيـلـمـ أـنـ لـاـ يـعـلـمـ
وـقـولـ أـبـيـ الـمـدـدـ الـمـسـرـ :

فـيـكـ يـاـ أـغـلـوـلـةـ الـفـكـرـ حـارـأـمـيـ وـأـنـقـضـوـهـيـ
سـافـرـتـ فـيـكـ الـمـقـولـ فـاـ وـبـحـثـ إـلـاـ أـذـىـ الـصـفـرـ
فـلـعـيـ أـلـهـ الـأـلـوـلـ زـهـمـواـ أـمـكـ الـمـرـوـفـ بـالـنـظرـ
كـذـبـواـ إـنـ الـدـيـ ذـكـرـواـ خـارـجـ عـنـ طـافـةـ الـبـشـرـ

أجل يا مولاي ، أليس الله عز وجل وصف الماءف « أخلوطة الذكر » ، « خارج عن ملائكة
الشر » فـ يـ سـ تـ كـ رـ ؟ من هـنـا : ٢٦٣
على أن هذه المقالة ، وإن انتـ اـ لها ، مـ نـ اـ لـ شـ اـ شـ مـ تـ خـ بـ ، وـ قـ اـ لـ مـ تـ اـ وـ لـ ، لـ اـ قـ يـمـ
المذاهب الاجتماعية ، فـ لـ اـ لـ تـ هـنـهـ ، فـ ضـيـفـةـ ؟
أما ثانية المعتبرين ، فـ هـنـا : ٢٧٠ السيد القصوري حين عـبـدـ تـ خـ لـ فـ الشـرـقـيـنـ ، بـلـ السـدـنـيـنـ ،
من رـكـبـ حـرـاجـ ، وـ رـكـبـ السـرـرـ ، تـ لـمـكـهـ بـلـاسـ مـنـ اـنـهـاضـهـ الـاجـتـاعـيـ ثـانـيـةـ ، وـ مـنـ دـيـبـ
حـمـ الـاحـيـاءـ فـيـ الـاهـلـاءـ ، وـ حـنـنـ لـ بـلـكـ فـيـ حـلـيـةـ الـاـنـوـرـ ، اوـ الـمـهـيـرـ ، كـحـلـيـةـ الـدـفـيـنـ ١١١
وـ قـدـدـهـ الـوـاـرـدـنـ فـيـ بـيـتـهـ تـرـقـدـهـ الـمـيـتـ فـيـ حـلـدـ
لتـ مـنـ رـأـيـ الـاسـتـاذـ فـيـ حـرـولـ إـلـهـارـهـ مـنـ أـنـ تـدـبـ الـحـيـاةـ فـيـ تـجـالـيـدـ الـشـرـقـ ، وـ يـعـقـ
مـنـ الرـقـ ، وـ لـاـ مـنـ دـجـيـ الـإـيـاءـ وـ الـنـبـاتـ ، إـلـىـ الـأـيـاةـ ، غـانـ الـرـقـ إـذـاـ نـشـ ، نـيـتـ ، وـ إـذـا
قـامـ ، اـسـنـادـ ،
إـنـ الـمـضـةـ الـاجـتـاعـيـ إـذـاـ بـدـتـ ، سـرـتـ ، وـ إـنـ أـنـتـ ، تـأـسـلـتـ . كـثـيـرـةـ الـعـرـفـ فـيـ الـأـيـلـ
يـدـوـ خـيـطـهـ بـدـوـ الـشـرـةـ الـبـيـضاـنـ فـيـ الـأـشـدـ الـسـوـدـ ، حـتـىـ إـذـاـ اـسـتـمـرـتـ حـبـنـاـ ، طـنـ الـصـبـعـ
عـلـ الـجـنـبـ ١١١

حسن الفابي

وانـ المـتـعـلـفـ لـلـىـ اـسـتـعـادـ ، اـبـاـمـاـلـاـ توـحـيـ بهـ حرـيةـ الرـأـيـ ، أـنـ يـنـشـرـ كـلـ ماـ يـصـدـهـ
مـنـ بـحـوثـ الـأـدـبـ وـ اـنـقـتـهـ ، فـ هـنـاـ الـكـتـابـ عـلـ شـرـطـ وـاحـدـ هوـ : أـنـ يـدـورـ الـبـحـثـ مـنـ حـولـ
مـسـائـلـ مـحـدـدـةـ الـمـبـادـيـ وـ نـظـرـيـاتـ عـلـيـةـ اوـ فـقـيـهـ تـوـرـجـهـ فـيـهاـ الـمـنـانـنـةـ تـوـجـيـهـاـ مـدـيـداـ اـتـنـاهـ
الـوـسـولـ إـلـىـ الـحـنـ . أـمـاـ الـأـفـوـالـ الـمـائـةـ وـ الـعـبـادـاتـ الـيـ تـتـنـاـوـلـ وـ جـهـاتـ غـيرـ مـحـدـدـةـ مـنـ الـبـحـثـ
كـاـقـوـلـ بـاـنـ الـكـتـابـ صـرـبـ اوـ اـنـ صـبـيـةـ لـلـبـشـرـ اوـ اـنـ دـخـيـلـهـ مـنـ دـخـالـ الـمـسـمـرـيـنـ بلاـ
أـيـةـ بـيـنـهـ مـنـ وـافـعـ اوـ مـنـطـقـ ، فـ هـذـاـ وـلـاـ هـكـ صـلـاجـ وـاهـنـ يـزـيدـ الـضـفـاءـ ضـعـفـاـ ، وـبـنـمـ عنـ
مـخـيـطـهـ يـكـرـهـاـ الـلـمـ وـ يـنـبـذـهـاـ الـدـيـنـ وـ اـنـبـادـهـ الـحرـيـةـ وـ يـقـنـهـاـ لـلـلـقـنـ اـسـوـيـ الـدـيـنـ هـوـ مـنـ
خـلـائـنـ الـرـبـالـ .